الشاعر الهندي كبير

مدّاحُ الكائنات

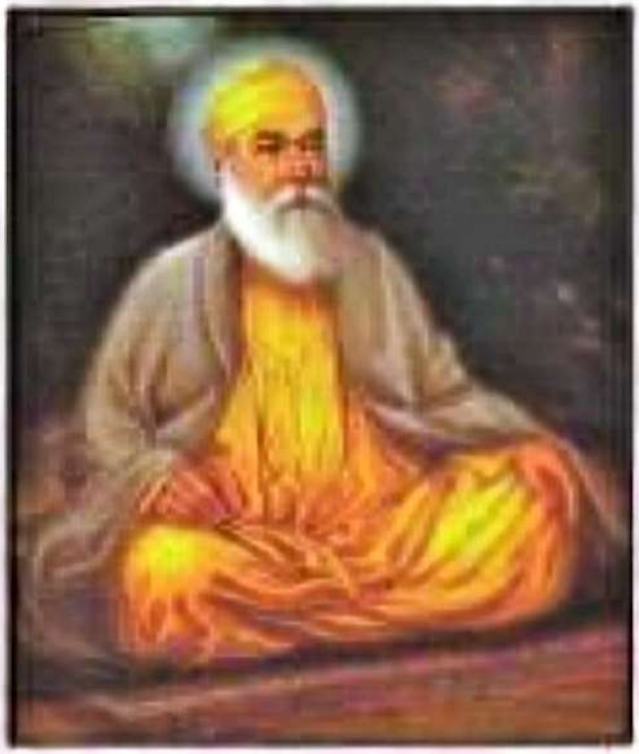

ترجمة

عاشور الطويبي

منشورات الجمل

شعر

هذا الكتاب

لا حاجة لتسأل الرجل الصالح من أيّ طبقة هو؛

فرجل الدين والمحارب والتاجر والست وثلاثين طبقة جميعهم يبحثون عن الله

من الحمق أن تسأل ما طبقة الرجل الصالح؛

الشاعر الهندي كبير: مدّاحُ الكائنات

الشاعر الهندي كبير

مدّاحُ الكائنات

ترجمة

عاشور الطويبي

منشورات الجمل

الشاعر الهندي كبير: مدّاحُ الكائنات، ترجمة: **عاشور الطويبي**
الطبعة الأولى ٢٠١٦
كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت ٢٠١٦
تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

© Al-Kamel Verlag 2016
Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

مقدمة

الذي خرج من النهر وبلا قدمين قطع الطريق.

كبير يعتبر أيقونة هندية اتفق عليها المسلمون والهندوس والبوذيون مثلما اختلفوا. كلّ طائفة تنسبه إليها وتقدسه وتجله.

كبير أو **كبير داس**، لم يعرف إلا بهذه الاسم، يعتقد أنه ولد عام ١٤٤٠ ميلادي في مدينة فارناسي من إقليم جنبور بالهند والتي تقع على الضفة الشمالية لنهر الغانغس. مات **كبير** عام ١٥١٨. اختلفت الروايات بشأن أصله ومولده. من قائلٍ بأن أمه كانت براهمية عازبة حملت به بعد زيارة لمعبد هندوسي، مما اضطرها لتركه على ضفة نهر، فوجده رجل مسلم يعمل نسّاجاً فحضنه وأعطاه اسمه وحرفته. في سن مبكرة صار مريداً لرامانداندا الراهب الهندوسي الشهير.

كبير تزوج في سن مبكرة كعادة الناس ذلك الزمان من امرأة اسمها لوي وأنجبت له ولجاً وبنتاً.

وهناك حكاية تروى عن أول لقاء للوي بـ **كبير** سألته من أيّ

طبقة هو فردّ عليها: **كبير**. ثم سألته أيّ دين يتبع فردّ: **كبير**. وفي الختام سألته أيّ ثوب يرتدي فردّ: **كبير**.

لم يكن **كبير** من المتحمسين للمؤسسات الدينية بمعناها الساذج القاصر، بل كان ينادي بالدين الحر الخالي من الحواجز الطبقية، العرقية، الناجي من سيطرة الفقهاء ورجال الدين.

تبدو واضحةً الحالة العرفانيةِ الصوفية التي نراها في قصائده وموقفه القوي الإيجابي من فكرة الحلول والاتحاد مما يلمح إلى امكانية أن يكون قد اطلع على المدونة الصوفية الكبرى وخاصة الحلاج، النفري، ابن عربي ومولانا جلال الدين الرومي؟!

فكرة الحلول والاتحاد أو مايسميه أتباع **كبير** بدرب المحبة وهو درب يمشي فيه الفرد وحيداً فهو لا يحتمل الكثرة.

في تقديري أن قصائده تدور في فلك غزليات الرومي بشكل لافت.

في مدينته بينارس ذاعت شهرته وذاعت أشعاره وأغانيه، غير أنّ القيادات الهندوسية استشعرت خطر ما يدعو إليه من وحدة الأديان والتسامح بينها، فتعرّض إلى اضطهاد ومضايقات متتالية ولم يتركوا وسيلة من الوسائل حتى أنهم أرسلوا إليه امرأة جميلة لتثنيه من الاستمرار في دعوته، لكنها انتقلت إلى صفه، فتمّ جلبه ليمثل بين يدي الإمبراطور سيكاندار لودي بتهمة ادّعاء ملكية قوى خارقة وحيث أنه ينتمي إلى جماعة إسلامية صوفية والخوف من ردود أفعال المسلمين، صدر الحكم بنفيه من المدينة التي غادرها في العقد السادس من عمره إلى مدينة أخرى.

صوت المغني وروح العارف لا تمنعها الأيدي الخائفة المرتجفة الحاكمة.

أخذته قدماه إلى العديد من مدن الشمال إلى أن وهن العظم منه فلم يعد قادرا على العزف أو الغناء. كان على الطائر الصدّاح أن يهبط على الأرض ليستريح وينام نومته الأخيرة.

نسجت الكثير من الحكايات عنه، وبقيت أشعاره وأغانيه خالدة.

تقول إحدى الحكايات: عند وفاته اختصم أتباعه من المسلمين والهندوس في طريقة دفنه. المسلمون قالوا يدفن على الطريقة الإسلامية، والهندوس قالوا بحرقه على طريقتهم. وفيما هم يختصمون، ظهر لهم **كبير** وقال لهم أن أفتحوا التابوت، وعندما فعلوا ذلك وجدوا مكان الجثمان كومة كبيرة من الأزهار، فاقتسموها بينهم. المسلمون دفنوا نصفها والهندوس حرقوا النصف الباقي.

في شمال ووسط الهند نشأت جماعة أغلبها من طبقة المهمشين (المدنّسون) ومن مختلف التوجهات الدينية جعلت من **كبير** معلّمها وملهمها وفي بعض الأحيان تقدّسه وتضعه في مكانة عالية.

اعتبره الباحث جون ستراتون هاولي من ضمن الثلاثة أصوات العظيمة: **كبير**، ميراباي وسرداس، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر التي أحيت المذهب الباكتائي في الهند وفي العالم بعد ذلك بقرون.

نلاحظ في القصائد في البيت الأخير ذكر اسم **كبير**، وكانت هذه عادة متبعة وهي ما يسمى بالتوقيع الشفاهي مما يعني أنها في

الأصل لم تكتب في دفتر أو كراس إلا بعد أن تغنى بها صاحبها وشاعت بين الناس.

«**كبير** يقول: القِدر النصف ملآن يحدث صوتاً، املأه إلى حافته ـ لا صوت».

ترجم له الشاعر الهندي الكبير رابندرانات طاغور مائة أغنية في العشق ونشرها في كتاب عام ١٩١٥، كما ترجم له الشاعر الأمريكي روبرت بلاي قصائد في كتاب أسماه قصائد النشوة.

من هاتين الترجمتين قمنا باختيار وترجمة قصائد هذا الكتاب.

يا عبدُ

يا عبد، تطلبني أين؟

أنظر!

أنا بجانبك.

لا في معبد

ولا في جامع

لا في كعبة

ولا في كاشالا

لا في طقوس

واحتفالات

لا في يوغا

ولا في زهد.

لو كنتَ باحثاً أصيلاً،

ستراني ستقابلني.

كبير يقول:

«يا فلان!

الإله

نَفَسُ كلّ نَفَسْ».

الرجل الصالح

لا حاجة لتسأل الرجل الصالح من أيّ طبقة هو؛
فرجل الدين والمحارب والتاجر والست وثلاثين طبقة جميعهم يبحثون عن الله.
من الحمق أن تسأل ما طبقة الرجل الصالح؛
الحلاّق بحث عن الله،
المرأة النظّافة، والنجّار ـ
حتى ريداس الصالح
كان باحثاً عن الله.
سواباتشا ريشي
كان دبّاغاً طبقياً.
الهندوس والمسلمون
وصلوا إلى تلك النهاية،
فلا بقايا لنقاط اختلاف.

وأنت حيّ

يا صديقي! ليكن مرامك هو
وأنت حيّ،

اعلم
وأنت حيّ،

افهم
وأنت حيّ

النجاة ملزمة.

إذا لم تكسر قيودك
وأنت حيّ،
أيّ أمل في النجاة
من الموت؟

لا شيء سوى حلم خاوٍ،
على الروح أن تتّحدَ معه
إذا غادرت الجسد
إذا أُكْتِشفَ الآن،
أُكْتِشفَ لاحقاً.
إذا فشلنا،
ليس لنا إلاّ الذهاب
للإقامة في مدينة الموت.

إذا اتّحدتَ الآن،
ستحصل عليها لاحقاً.

استحمّ في الحقيقة،
اعرف المعلّم الأصيل،

ثق في الاسم الأصيل!
كبير يقول:
«إنها روح البحث التي تُعين؛
أنا عبد هذه الروح».

حديقة الأزهار

لا تذهب إلى حديقة الأزهار!
لا تذهب إلى هناك يا صديقي!

حديقة الأزهار
في جسدك..
خد مقعدك فوق
ألف بتلّة زهرة لوتس،
وحدِّق
في الجمال اللانهائي.

قل لي

يا أخي قل لي،
كيف أتخلّى عن الوهم؟

لمّا تخلّيتُ عن رباط الأشرطة،
بقيتُ أشدّ ردائي عليّ
لمّا تخلّيتُ عن شدّ ردائي،
بقيتُ أُغطّي جسدي في طيّاته.
ولمّا تخلّيتُ عن العاطفة،
بقي الغضب؛
ولمّا تخلّيتُ عن الغضب،
بقي الطمع؛
ولمّا هُزمَ الطمعُ،
بقي الكبرياء والصلف؛

ولمّا انفصل العقل وأبعد الوهم،

بقي متشبّثاً بالرسالة.

كبير يقول:

«استمع لي، عزيزي فلان!

من النادر

إيجاد الطريق».

المسك في الظبي

القمر يسطع في جسمي،

لكن عينيّ فاقدتي البصر لا تستطيعان رؤيته:

فيّ القمر، وكذلك الشمس.

فيّ طبل الأبدية الذي لم يدقّ صوته؛

لكن أذنيّ الأصمتين

لا تستطيعان سماعه.

طالما يتذمّر الإنسان

لـ أنا ولـ لي،

لا قيمة لأعماله.

عندما يموت الحب لـ أنا ولـ لي،

يكتمل عمل المولى.

لا هدف للعمل إلاّ الحصول على المعرفة

حين تأتي تلك، يوضع العمل بعيداً.

من أجل الثمرة تتفتح الزهرة
وحين تظهرُ الثمرة تذبل الزهرة.
المسك في الظبي،
لا يَبحثُ عنه في داخله
يمضي طالباً عن العشب.

ظهور

لمّا يبينُ نفسه بنفسه،
يأتي إلى الظاهرة بما لا تتعذر رؤيته.
مثلما البذرة في النبات،
مثلما الظلّ في الشجرة،
مثلما الفراغ في السماء،
مثلما أشكال اللانهائي في الفراغ -
لذا من وراء اللانهائي،
يأتي اللانهائي؛
ومن اللانهائي
يمتدّ النهائي.

الكائنُ في الخالق،
والمولى في الخالق
مختلفان هما دائماً،
متّحدان هما دائماً.
هو ذاته
الشجرة،
البذرة،
والجرثومة.
هو ذاته
الزهرة،
الثمرة،
والظلّ.

هو ذاته

الشمس،

الضوء،

واللّطيف.

هو ذاته

الخالق،

الكائن،

والوهم.

هو ذاته

الشكل المتعدد،

الفضاء اللانهائي؛

هو النَفَس،

الكلمة،

والمعنى.

هو ذاته

الحدّ واللاحدّ:

ووراء المحدود واللا محدود

هو، الطاهر.

هو العقل اللّبُّ

في الخالق وفي الكائن.

الروح السامية تُرى في داخل الروح،

النقطة تُر ى في داخل الروح السامية،

وفي داخل النقطة، يُرى الانعكاس مرة ثانية.

كبيرُ مباركٌ

لأن عنده هذه الرؤية السامية!

الوعاء

في داخل هذا الوعاء الترابي أكواخ وبساتين،
وفي الداخل خالقه
في داخل هذا الوعاء
البحار السبعة والنجوم التي لا تحصى.
في الداخل المحكّ وعيّاري الجواهر؛
وفي داخل هذا الوعاء
الصوت الأبدي، والينبوع المتدفق إلى أعلى.
كبير يقول:
«استمع لي، يا صديقي!
في الداخل حبيبي ومولاي».

آه

آه،

كيف أقدر أن أعبّر

عن الكلمة السرية تلك؟

آه،

كيف أستطيع قول:

هو لا يشبه هذا،

وهو لا يشبه ذاك؟

لو قلتُ أنه في داخلي،

يخجل الكون.

لو قلتُ هو بدوني،

فهو باطل.

هو يجعل عالم الباطن وعالم الظاهر

واحداً لا يتجزأ؛

الوعي واللاوعي،

كلاهما مساند لقدميه.

هو ليس ظاهراً ولا مخفياً،

هو ليس معلناً ولا غير معلن:

لا كلمات لتخبر عنه.

يا مسكين

يا مسكين،

إليكَ يا حبيبي اجتذبتني!

كنتُ نائماً في حجرتي،

أيقظتني أنتَ.

يا مسكين،

ضربتني بصوتك!

يا مسكين،

كنتُ غارقاً في أعماق بحر هذا العالم،

وأنت أنقذتني

حضنتني بذراعيك!

يا مسكين،

كلمة واحدة فقط لا ثاني لها ـ

جعلتني أمزق كل قيودي!

كبير يقول:

«يا مسكين،

جعلتَ قلبك وقلبي

واحداً»

لأصعد درجة

لعبت ليلاً نهاراً مع رفاقي،
والآن أنا في خوف عظيم.
قصرُ مولاي في أعلى عليّين،
قلبي يرتعد لأصعد درجه

يجبُ عليّ أن لا أخجل،
إذا رغبت في الاستمتاع بمحبته.
على قلبي أن يلتصق بحبيبي،
عليَّ أن أخلع حجابي،
وألاقيه بجسدي.
على عينيَّ أن تستعرضا
حفل قناديل الحب.

كبير يقول:

«استمع لي، يا صديقي

هو يفهم من يحب.

إذا كنت لا تشعر بالشوق إلى حبيبك،

لا جدوى أن تزين جسدك،

لا جدوى من وضع المساحيق

على جفنيك».

يا بجعة

يا بجعة،

أخبريني قصتك القديمة.

يا بجعة،

من أي أرض تجيئين؟

إلى أي شاطئ ستطيرين؟

يا بجعة،

أين سترتاحين،

وعن ماذا تبحثين؟

يا بجعة،

هذا الصباح أيضاً،

يستيقظ، ينهض، يتبعني!

هناك أرض لا شك فيها ولا أسى:

لا خوف من الموت.

وغابات الربيع مزهرةٌ،

الرائحة المعطّرة «أنا»

ولدت فوق الريح.

نحلةُ القلبِ مغمورة عميقاً،

لا تشتهي متعة أخرى.

الخادم

مولاي الذي لم يُخلَق،

من يخدمك؟

كلّ نصير يهبُ عبادته

إلى إله مِن خَلقه.

يعبده كلّ يوم ـ لا أحد يطلبه،

الكامل: الخالق،

المولى غير قابل للانقسام.

هم يؤمنون بعشرة من المختارين؛

لكن لا يمكن لمختار أن يكون الروح اللانهائي،

لأنه يتعذب بنتائج أعماله.

الواحد العليّ، غير هذا.
اليوغي، السانيوسي، الزاهد،
في جدال.

«يا أخي،
من رأي نور العشق،
نجا».

النهر وأمواجه

النهر وأمواجه زَبَدٌ
ما الفرق بين النهر وأمواجه؟
عندما ترتفع الموجة، ماء؛
وعندما تتراجع، فهي ماء مرة أخرى.

قل لي، سيدي، أين الفرق؟
لأنها سميت موجة،
لن يُنظر لها كماء؟
في داخل الخالق السامي،
تحكى العوالم كحبّات مسبحة
انظر إلى تلك المسبحة
بعيني الحكمة.

أرجوحة

بين قطبيّ الوعي واللاوعي،
صنع العقل أرجوحة:
تُعلّق عليها كلّ الكائنات وجميع العوالم.
لا تفقد الأرجوحة حركتها أبداً.

ملايين من الكائنات الشمس والقمر
ملايين السنين تمرّ، والأرجوحة في حركة دائمة.
الكلّ يتأرجح!
السماء والأرض والهواء والماء،

والمولى
ذاته يأخذ شكلا:
معاينة هذا جعل كبير خادماً.

أغنية العشق

ضوء الشمس، القمر، والنجوم اللامعة
أغنية العشق تكبر أكثر،
وإيقاع فراق العاشق
يقاتل الوقت.

ليل نهار، جوقة الموسيقى
تملأ السموات؛
كبير يقول:
«حبيبي
يشعّ كوميض برقٍ
في السماء».

هل تدري

أتدري كيف تَصنع اللحظاتُ شغفها؟
ملّوحة بصفّ مصابيحها،
الغناء يتعبّد الكون ليل نهار

هناك
الراية الخفية والحجاب السرّي،
هناك
يُسمع صوت الأجراس اللامرئية.
كبير يقول:
«هناك العبادة لا تتوقف؛
هناك سيد الكون
جالس على عرشه».

العالم كله يؤدي أعماله ويرتكب زلاته:
القليل من العاشقين

من يعرف المعشوق.
المريد المخلص هو من يخلط في قلبه
تيارات العشق والفراق،
كاختلاط جداول الغانجس والجومنا؛

في قلبه
يجري الماء المقدس
ليل نهار؛
ولهذا
حلقة الولادات والأموات
تصل إلى نهاية.
انظرْ ما تبقى من عجائب في الروح العلية!
سعيدٌ من جهّز نفسه للقائها.

إلى الأمام وإلى الوراء
تتأرجح
أرجوحة بحر الفرح،
مشدودة بأسلاك العشق؛
وصوت قوي يصدح بأغنية.
انظر

هناك
بلا ماء تتفتح زهرة اللوتس!
وكبير يقول:
«نحلة قلبي تشرب رحيقها».

ما أبهاها من زهرة لوتس،
تتفتح في قلب عجلة الكون الدوارة!
قليلة الأرواح النقية التي تعلم
حقيقة بهجتها.
الموسيقى حولها،
والقلب يشارك فرح البحر اللانهائي.
كبير يقول:
«اغطس في بحر اللّذة
واترك
أخطاء الحياة
والموت
تفرّ بعيداً».

أنظر
هناك

كيف يرتوي عطش الحواس الخمسة!
ولا وجود لأشكال البؤس الثلاثة بعد ذلك!

كبير يقول:
«أنها رياضة ما لا يدرك
أنظر في الداخل،
وانظر
كيف تسطع عليك أشعة
قمر الباطن».

هناك
تسقط دقّة إيقاع الحياة والموت
تفور أبار ويشع المكان بالنور.

هناك
تصدح الموسيقى بلا لمس؛
إنها موسيقى عشق
العوالم الثلاثة.

هناك

ملايين مصابيح الشمس والقمر

تحترق؛

هناك

يقرع الطبل،

ويتأرجح العاشق

لعباً.

هناك

تعاد

أغاني العشق،

ويهطل النور مدرارا؛

وفي طَعم الرحيق السماوي

يغيب العابد.

أنظر

في

الحياة والموت؛

لا فاصل بينهما،

اليد اليمنى

واليد اليسرى

شيء واحد
ومتشابهتان.

كبير يقول:
«هناك
الحكيم أخرس؛
ربما هذه الحقيقة غير موجودة
في الفاداس
أو
في الكتب».

لقد أخذت مكاني على مقعد التبصر الذاتي،
لقد شربتُ من الكأس الفائقة الوصف،
لقد وجدت مفتاح اللغز،
لقد وصلت إلى جذر الاتحاد،
مسافرا بلا أثر
وصلت إلى الأرض الخالية من الندم

بيسر غمرتني رحمة المولى
لكني في تأملي قد شاهدته بلا بصر.

تلك حقاً أرضٌ بلا ندم،
ولا أحد يعرف السبيل الذي يؤدي إليها
مَن على السبيل فقط قد تجاوز كلّ ندم.
رائعةٌ أرضُ الراحة تلك،
لا مكسب لأيّ فوز؛
إنه الحكيم الذي شاهدها،
إنه الحكيم الذي تغنى بها.
هذه هي الكلمة الجوهر.
هل يقدر أحد على إظهار نكهتها البديعة؟
من تذوقها مرة، يعلم أية متعة تعطي.

كبير يقول:
«التعرف عليها،
يجعل الغافل حكيماً،
والحكيم أبكماً وصامتاً،
والعابد سكراناً تماماً،
حكمته وهجرانه
يصيران
كاملين؛
هو يشرب من كأس

زفير
وشهيق
العشق».

هناك
الأصوات غمرت السماء،
وهناك
الموسيقى تصنع بلا أصابع
وبلا أوتار؛
هناك
لعبة اللّذة والألم
لا تتوقف.

كبير يقول:
«إذا أدمجت حياتك ببحر الحياة،
ستجد حياتك في أرض البركة العلية».
هناك
أي نشوة هائجة في كلّ ساعة!
والعابد يلح ويشرب لُبّ الساعات
هو يحيا في حياة الحق.

أني أقول الحقيقة
لأنني
قبلت الحقيقة في الحياة.
أنا الآن
مرتبط بالحقيقة،
ولقد أبعدتُ كلّ شريط ملوّن.
كبير يقول:
«هكذا أطلق سراح العابد من الخوف؛
هل تركته خطايا الحياة والموت».

هناك
السماء مليئة بالموسيقى
هناك
تمطر رحيقاً
هناك
أوتار الهارب ترنّ،
وهناك
الطبل يقرع.
أيّ سرّ بديع هناك،
في قصر السماء!

هناك
لا ذكر لصعود أو أفول الشمس؛
في بحر الظاهرة، التي هي نور العشق،

النهار والليل
يُحسان كأنهما شيء واحد.
سعادة دائمة،
لا ندم، ـ لا صراع!
هناك
شاهدت السعادة مملوءة إلى الحافة،
سعادة كاملة؛

كبير يقول:
«هناك شاهدت رياضة المباركة الواحدة!»
لقد عرفت في جسدي رياضة الكون
لقد فررت من إثم هذا العالم...
الباطن والظاهر صارا
سماءً واحدة،

اللانهائي والنهائي

اتحدا

أنا سكران بمنظر هذا كله!

نورك يملأ الكون

مصباح العشق الذي يحترق

على صينية المعرفة.

كبير يقول:

«هناك لا يدخل الخطأ،

والصراع بين الحياة والموت

لا يُحس به أبداً».

وسط السماء

وسط السماء، سكن الروح،

تشع بموسيقى النور؛

هناك،

تتفتح الموسيقى النقية والبيضاء،

يبتهج مولاي.

في اللمعان العجيب لكل شعرة في جسده،

يضيع لمعان ملايين الشموس والأقمار.

فوق ذلك الشاطئ مدينة،

فيها يهطل مطر الرحيق،

يهطل ولا يتوقف.

كبير يقول:

«تعال،

أيها المتأمل،

وانظر

بلاط مولاي العظيم».

يا قلبي

يا قلبي!
الروح العلية،
المولى العظيم،
قريب منك

استيقظ،
آه استيقظ!
اركض إلى قدمي حبيبك:
فالمولى يقف قريباً من رأسك.
لقد نمت لقرون لا تحصى؛
ألن تستيقظ هذا الصباح؟

لا مسافر قبلك

إلى أيّ شاطئ ستعبر، يا قلبي؟
لا مسافر قبلك، لا طريق
أين الحركة، أين الراحة،
في ذلك الشاطئ؟
لا ماء هناك، لا قارب، لا مجدّف،
هل هناك؛
لا حبل لربط القارب،
ولا رجل يسحبه.
لا أرض، لا سماء،
لا وقت،
لا شيء،
هل هناك.

لا شاطئ،
لا معبر!

هناك
لا جسد
ولا عقل.

وأين المكان الذي سيبقى
عطش الروح؟
ستجد ضفراً
في ذلك الفراغ.
كن قوياً،
وادخل في جسدك،
قدماك راسختان.
فكّر في الأمر ملياً،

يا قلبي!
لا تذهب إلى مكان آخر.
كبير يقول:
«ابعد الأوهام، وأثبت في ما أنت عليه».

يا أعمى

يا أعمى،
المصابيح
تشتعل في كلّ بيت!
ولا تراها.

ذات يوم
ستُفتح عيناك فجأة،
وسترى وستسقط منك
أصفاد الموت.
لا شيء
تقوله أو تسمعه،
لا شيء
تفعله.

هو الذي يحيا،

وهو ميت،
لن يموت ثانية أبداً.

لأنه يعيش في عزلة،
يقول اليوغي أن بيته بعيد جدّاً.

مولاك قريب
وتتسلّق النخلة لتبحث عنه.
الراهب البراهمي
يمضي من بيت إلى بيت
يبارك الناس إلى الإيمان.

النافورة الأصيلة بجانبك،
وتضع حجراً لتعبده.
كبير يقول:
«قد لا أقدر أن أعبّر
كم عذب مولاي.
اليوغا والبخت،
الفضيلة والرذيلة
تساوي صفراً له».

الحجاب

يا أخي،
قلبي متشوّق إلى ذلك المعلّم،
يملأ الكأس من العشق،
يشرب منه،
ثم يقدمه لي.
يزيل الحجاب من على العينين،
ويعطي البصر
يظهر العالم فيه،
يجعلني أسمع موسيقى لم تعزف بعد
ويظهر الفرح والحزن كشيءٍ واحدٍ

هو يشبع النطق بالعشق.
كبير يقول:
«حقاً، لا يخاف، من عنده معلّم كهذا
ليدلّه إلى ملجأ السلامة!»

المساء

ظلال المساء

تسقط كثيفة وعميقة،

وظلمة العشق تحيط بالجسد والعقل.

افتح النافذة الغربية، وافن في سماء العشق؛

تجرّع العسل الحلو يغمر بتلات لوتس القلب.

استقبل الموجات في جسدك:

أيّ عظمة هي منطقة البحر!

أصغ!

أصوات القواقع والأجراس

تعلو.

كبير يقول:

«يا أخي، انظر! المولى في وعاء جسدي».

أكثر من أي شيء

أكثر من أيّ شيء آخر

أعتزّ من كلّ قلبي بذلك العشق

يجعلني أحيا حياةً

لا حدود لها في هذا العالم.

تشبه اللوتس،

تعيش في الماء وتزهر في الماء

لا يستطيع الماء

لمس بتلاتها،

تتفتح بعيداً عن المتناول.

تشبه الزوجة،

تدخل النار عند نداء العشق.

تحترق وتترك الآخرين يحزنون،

وأبداً لا تخزي العشق.

يصعبُ عبور بحر هذا العالم.
عميقةٌ مياهه.
كبير يقول:
«استمع لي،
قليلٌ
من وصل إلى نهايته».

مولاي يخفي نفسه

مولاي يخفي نفسه،
وبعظمة يظهر مولاي نفسه

بالشدّة أحاطني مولاي،
وقلّب قصوري.
مولاي
يأتيني بكلمات الحزن
وكلمات الفرح،
وهو الذي يبرئ نزاعاتها.
إلى مولاي
سأهب جسدي وعقلي
سأهب حياتي،
وأبداً لن أنس مولاي.

الصوت الأعظم

من الصوت الأعظم جاءت الأشياء؛
شكّل العشق جسده.
هو بلا شكل، بلا قيمة، بلا تعفّن

ابحث عن اتحادك معه!
الإله البلا شكل
يأخذ آلاف الأشكال في عيون مخلوقاته
هو طاهر ولا يفنى، شكله لا نهائي ولا يسبر غوره،
في النشوة يرقص،
ومن رقصه تنهض أمواج من الأشكال.
لا الجسد ولا العقل يستطيعان السيطرة،
حين يلمسهما الفرح العظيم.
لا بداية له ولا نهاية. يحمل الجميع ببركته.

طائر

على هذه الشجرة طائر
يرقص في فرح الحياة.
لا أحد يعرف أين هو

من يعرف أي أثر لموسيقاه؟
في المكان
الذي تحذف فيه الأغصان ظلاً، يبني عشه
في المساء يجيء
وفي الصباح يطير،
لا يتفوه بكلمة.

لا شيء يخبرني عن هذا الطائر
الذي يغني في داخلي.
لا هو ملوّن
ولا هو بلا لون

ليس له شكل ولا حد
يجلس في ظلّ العشق.
يقيم في ما لا يدرك،
اللانهائي، والخالد

ولا أحد يؤشر
عندما يجيء ويرحل.
أخي الراهب! السرّ عميق.
دع الرجال الحكماء يبحثون
أين يستريح ذلك الطائر.

في النهار والليل

ألم حادٌّ يقلقني
في النهار والليل،
ولا أستطيع النوم
أتشوق إلى لقاء حبيبي
وبيت أبي
لم يعد يجلب لي أيّ بهجة.
بوابة السماء مفتوحةٌ
المعبد ظاهرٌ
ألتقي بزوجي،
وأترك عند قدميه
عطايا جسدي وعقلي.

ارقص يا قلبي

ارقص يا قلبي
ارقص اليوم بفرح.
شقاء العشق يملأ النهارات والليالي بالموسيقى
ويستمع العالم إلى ألحانه.
مجنون من الفرحة،
الحياة والموت يرقصان على إيقاع هذه الموسيقى.
الهضاب والبحر والأرض يرقصون.
عالم الإنسان يرقص في الضحكة والدموع.
لماذا ترتدي عباءة الراهب،
وتعيش بعيداً عن العالم في كرامة موحشة؟
انظر!
قلبي يرقص في بهجة مائة فن
والخالقُ بالغُ السعادة.

أسكرَ العشقُ قلبي

أين الحاجة للكلمات،

حين أسكرَ العشقُ القلب؟

لقد لففّت الماسّة في عباءتي

لِمَ أفتحها مرّة وأخرى؟

حين كان ثقلها نوراً

ارتفعت كفّة الميزان

هي الآن ممتلئة

أين الحاجة للوزن؟

أخذت البجعة طيرانها

إلى بحيرة وراء الجبال

لِمَ عليها البحث عن البرك والخنادق

بعد الآن؟

مولاك يقيم فيك

لماذا تريد أن تُفتّح عينيك

الناظرتين إلى الخارج؟

استمع إليّ يا أخي!

مولاي الذي اغتصب عينيّ

وحد نفسه معي.

بينك وبيني

كيف لا ينقطع العشق بينك وبيني؟
كما ورقة اللوتس تقيم في الماء
أنت مولاي وأنا خادمك.

كما طائر الليل شكور
يحملق طوال الليل في القمر
أنت مولاي وأنا خادمك.

من بدء وانتهاء الوقت
عشقٌ بيني وبينك
كيف لعشق كهذا أن ينطفئ؟
كما يدخل النهر في البحر
قلبي يلمسك.

تعالى إلى بيتي

يا حبيبي قلبي وعقلي حزينان من الشوق إليك!

تعال إلى بيتي.

عندما يقول الناس أنا عروس،

أحس بالخجل

لأني لم ألمس قلبك بقلبي.

فأيّ عشق هو عشقي؟

لا أستطعم الأكل

لا أنام،

وقلبي دائماً قلق

وراء الأبواب أو خارجها.

كما الماء للعطشان،

يكون العاشق للعروس.

مَن يحمل أخباري إلى حبيبي؟

كبيرُ قلقٌ،

في شوقٍ عظيم لنظرة منه.

استيقظ ولا تنم

يا صاحبي،

استيقظ ولا تنم بعد الآن

لقد انتهى الليل ورحل

هل تفقد نهارك أيضاً؟

الآخرون الذين استيقظوا

استلموا الجواهر

يا امرأة ساذجة!

لقد فقت الكل وأنت نائمة.

عشيقك حكيم،

وأنت ساذجة،

يا امرأة!

لم تجهّزي أبداً سرير زوجك

يا مجنونة،

قضيت وقتك في لعب ساذج.

شبابك انقضى بلا جدوى

لأنك لم تعرفي مولاك

استيقظي،

استيقظي!

انظري!

سريرك فارغ

تركك في الليل.

تستيقظ فقط التي

اخترق سهم موسيقاه

قلبها.

إذا كان الليل

أين الضوء،

عندما تسطع الشمس؟

إذا كان الليل،

ستسحب الشمس ضوءها.

حيث تكون المعرفة،

هل يستطيع الجهل أن يتحمل؟

إذا ما كان هناك جهل،

على المعرفة أن تموت.

إذا ما كانت هناك شهوة،

ما حال العشق هناك؟

أين ما يكون هناك عشق،

لا تكون هناك شهوة.

تقلّد سيفك وشارك في المعركة.

قاتل، يا أخي،

طالما هناك حياة.

اضرب رأس عدوّك،

وانته منه سريعا

وتعال احن رأسك

عند بلاط ملكك.

الشجاع لا يبحث عن المعركة

الذي يهرب منها لا يكون محارباً.

في ميدان هذا الجسد

حرب عظيمة تدور

ضد الوله، الغضب، العزة، والبخل

في مملكة الحقيقة،

الرضا والطهارة،

تستعر فيها المعركة

والسيف ذو الصليل الأعلى سيف اسمه.

عندما يدخل شجاع إلى الميدان،

يفرّ الجبناء.

إنها معركة ضارية ومرهقة،
معركة الباحث عن الحقيقة
فنذر الباحث عن الحقيقة
أكثر صلابة من المحارب
أو الأرملة التي تتبع زوجها.

المحارب يقاتل لعدة ساعات،
وصراع الأرملة مع الموت ينتهي سريعاً

معركة الباحث عن الحقيقة تستمر ليلا ونهارا
لا تتوقف أبداً طالما هناك حياة مستمرة.

السمك في الماء عطشان

١

أحبُّكَ.

فكِّر في الأمر بعناية!

إنْ وقعتَ في العشق،

لماذا تنام إذن؟

إنْ وجدتَه، هبْ له نفسَكَ،

خُذه.

لِمَ تفقدُ أثره مرّة

ومرّة؟

إنْ كنتَ ستقع في سُبات عميق،

لِمَ تهدرُ الوقتَ بإعدادِ السرير

وترتيبِ الوسائد

هذا حال العشق.

لو لزم أن تقطَع رأسكَ

وتعطه إلى أحد،

ما الفرق

الذي سيحدثه ذلك؟

٢

أضْحَكُ
حين أسمع
أن السمك في الماء
عطشان.

لَمْ تعِ أنّ أكثر الأشياء الحيّة
هي داخل بيتك؛
ببصرٍ مغبّشٍ تمضي
من مدينة مقدّسة إلى أخرى!
امض إلى حيث شئت
إلى كالكوتا أو التبت؛
إذا لم تجد أين خُبّئت روحك،
لن يكون العالم
حقيقيّاً أبداً!

٣

أيّها الطالب، تطهَّرْ
تعلَمُ أن البذرة في شجرة الكستناء؛
وفي البذرة
أزهار الشجرة، والكستناء والظل.

في جسد الإنسان البذرة،
وفي البذرة الجسد مرّة أخرى.
النار، الهواء، الماء، والفضاء ـ
إذا لم يكن الواحد الخفيّ مرامك،
لن تقدر حتى على امتلاك هذه الأشياء.
أيّها المفكرون، اسمعوا، قولوا لي
أليس ما تعرفونه في داخل الروح؟

في الماء
حطّوا إبريقاً مليئاً بالماء.
الآن في الداخل ماء
وفي الخارج ماء.

نحن لا نعطه اسماً،
كي لا يلوّث السذّج ثانية
الحديث عن الجسد والروح.
لو شئتم الحقيقة، سأقول لكم:
استمعوا إلى الصوت الخفيّ،
الصوت الحقيقي، بداخلكم.
الأحدُ لا أحدَ يذكره
يتحدّثُ بالصوت الخفيّ إلى نفسه،
وهو الذي خلق كلّ شيء.

٤

أتحدّثُ مع حبيبي، وأقول، لِمَ العجلة؟
ربما أرواح الطير، الحيوانات، النباتات والنمل العاشقة
أعطتكَ كلّ هذا التألّق؟
في رحم أمك.
أيعقل الآن أن تهيمَ يتيماً تماما؟
الحقيقة أنّك أبعدت نفسكَ
وقرّرتَ الذهاب إلى الظلمة وحيداً.

الآن تورطتَ في الغير، ونسيتَ ما عرفته ذات مرة،
لذا في كلّ ما تعمل بعض الخسران الغريب.

٥

يا صديقي، رجاءٌ من عندك
رجاءٌ في الضيف وأنت حيّ.
اقفز إلى التجربة وأنت حيّ!
فكّر...
وفكِّر...
وأنت حيّ.

ما تسمّيه «انعتاق»
ينتمي إلى ما قبل الموت.

إذا
لم تقطع حبالك وأنت حيّ،
أتظنّ أنّ الأشباح
ستفعل ذلك لاحقاً؟
الفكرة

أن الروح ستتوحّد مع النشوة
فقط لأن الجسد متعفن -

خيالٌ كلّ هذا.
الموجود الآن موجودٌ لاحقا.
إذا لم تجد شيئاً الآن، قطعاً ستنتهي بمقام في مدينة الموت.
إذا مارست الحبّ مع الجليل الآن،
في الحياة الأخرى ستحصل على وجه الشهوة المشبعة.
اغطس في الحقيقة إذن، وتعلّم من المعلم.
آمِن بالصوت العظيم!

كبير يقول:
عندما يُطلَبُ الضيف،
فالرغبة الشديدة في الضيف
هي التي تقوم بالعمل.
انظر إليّ،
وسترى عبداً
لتلك الشدّة.

٦

أنا أعرف صوت ناي النشوة،

لكن لا أعرف نايُ مَنْ.

بلا فتيلة ولا زيت يشتعل المصباح.

الزنبقة تزهر وليست متصلة بشيء!

عند تفتّح وردة عادة تتفتّح عشرات الأزهار.

رأس طائر القمر مليء بالأفكار

عن القمر ولا شيء سواه،

وعند مجيء المطر فالمطر كلّ

ما يفكر فيه طائر المطر.

من الذي نستهلك حيواتنا في محبته؟

البراعم تصيح:

«البستانيّ آتٍ!

اليوم سيقطف الأزهار،

غداً نحن!»

٧

يا فؤادي، استمع إليّ،
الروح الأعظم، المعلّم، قريب،
استيقظ، استيقظ!

أسرع إلى قدميه ـ إنّه واقف
قريباً من رأسك الآن.

لقد نمت لملايين وملايين من السنين.

لماذا لا تنهض هذا الصباح؟

٨

قطعان أسود لم يُسمع بها أحدٌ من قبل.
وكذلك طوابير طويلة من البجع.
الياقوت لا يأتي في أكوام.

الزاهد يمشي في الطريق وحيداً.
لا غابات
تحتوي على أشجار الصندل فقط.
بعض المحيطات لا تحتوي على لؤلؤ.
الشخص الروحاني نادرٌ في هذا العالم.

٩

لماذا كلانا يريد الفراق؟

كحياة ورقة تطفو على الماء،

نحيا واحد كبير

وواحد صغير.

كحياة البوم يفتح عينيه طوال الليل مواجها القمر،

نحيا واحد كبير

وواحد صغير.

بعيداً يمضي هذا العشق بيننا

إلى أوائل البشر؛

لا يتهدّم.

ها هي فكرة عظيمة:

مثلما يعطي النهر نفسه إلى البحر،

الذي بداخلي يتحرك داخلك.

١٠

درب الوجد يلتفُّ بطريقة ناعمة.
على هذا الدرب لا تساؤل
ولا لا تساؤل.
ببساطة الأنا تتلاشى لحظة تلمسه.
بالغةٌ متعةُ البحث عنه
تكاد تغطس فيه
وأن تسبح في الماء كسمكة.
إذا كان لأحد ما حاجة إلى رأس،
العاشق يثبُ ليهب رأسه.
أشعار كبيرُ تلامس أسرار هذا الوجد.

١١

لنرحل
إلى البلاد التي يقيمُ فيها الضيف!
هناك الدلو يمتلئ بالماء
ولو لم يكن هناك حبل.
دائماً السموات زرقاء،
رغم انهمار المطر على الأرض.

هل لديك جسد؟
لا تجلس في السقيفة!
اخرج وتمشىّ في المطر!

هناك يمتطي القمر السماء طوال الشهر،
ومن السخف أن نتذكّرَ شمسا واحدة فقط -
هناك الضوء يأتي من عديد الشموس.

١٢

بين الوعي واللاوعي وضع العقل أرجوحة:
كلّ
كائنات الأرض،
حتى السوبرنوفا، تتأرجح
بين
تلكما الشجرتين،
ولا
تضعف أبداً.

ملائكة، حيوانات، بشر، ملايين الحشرات،
كذلك الشمس الدوارة والقمر؛
عصور مرّت، وستمر.

كلّ شيء يتأرجح:
السموات، الأرض، النار،

وببطء ينموا للواحد الخفيّ
جسدٌ.
في خمس عشرة ثانية،
شاهدَ كبيرٌ ذلك وجعله خادماً
إلى آخر العمر.

ناي الوقت الخفي

١

نايُ الوقتِ الخفيّ يعزف
سمعناه
أو لم نسمع ما نعنيه بال«الحبّ»
هو صوته الآتي.

عندما يضرب الحبّ حافة الزيادة الأبعد، تصل إلى الحكمة.
وعبق تلك المعرفة
تخترق أجسادنا السميكة،
تخترق الحيطان.
لشبكة ملاحظاتها بِناءٌ
كأن ملايين الشموس صُفِّفَتْ في الداخل.
الحقيقة في هذه النغمة.
أين سمعتَ صوتاً كهذا؟

٢

أكون كئيباً،
حين يكون حبيبي بعيداً عنّي؛
لا شيء في ضوء النهار يفرحني،
نوم الليل لا يريحني؛
مَنْ أخبرُه عن هذا؟

هذه الليلة مظلمة، وطويلة...
الساعات تمر...
لأني وحيد،
فجأة أجلس، يغمرني الخوف.....

اسمع يا حبيبي،
شيءٌ واحدٌ في العالم يشفي الغليل،
لقاء الضيف.

٣

امض واعمل طيباً لربك،

الذي دخل معبد النهار والليل.

لا تكن مجنوناً في التصرف الثاني؛

هذا اليوم لن يبقى إلى الأبد.

مَن أحُبُّه

انتظرني لملايين

وملايين من السنين.

لحبّه لي

أضاع

اكتفاءه بنفسه.

لكنّي

لم أعرف تلك اللذّة التي كانت تبعد

ثلاث بوصات مني،

لأن حبّي لا يزال نائماً.

الآن جعل حبيبي معنى

الملاحظة التي سمعتها واضحة لي.

الآن حلَّ وقتي الطيّب!

أنظرْ كم عظيم حظّي.

تخيّل بعض -

مَن تحب يداعبك،

وأن تلك الرقة لا تنتهي أبدا!

٤

يصرخ الجسدُ لأني أريد بيتَ حبيبي.

لا يهم إن كان في العراء

أو تحت سقف متماسكة

كلّه واحد بالنسبة للمرأة التي

فقدت بيت حبيبها.

لا أجدُ متعة فيما أرى؛

جسدي وعقلي صارا مجنونين تماماً.

أعرف جميع البوابات في قصره، به مليون بوابة

وبين ذلك القصر وبيني بحر.

اخبرني كيف أعبر ذلك البحر، يا صديقي العزيز؛

لديّ إحساس أن هذا الدرب لا نهاية له.
هل تعجبك هذه الآلة ذات الوترين؟
حين تكون الأوتار موزونة بدقة، يقفزُ القلب.
حين تكون الأوتاد محلولة والأوتار مرخية،
عندها مَنْ يهمه أمرها؟

أخبرتُ والديّ ـ كنت أضحك ـ
عليّ الذهاب إلى سيّدي الآن.

٥

غضبوا، لم يرغبوا أن أغادر.

قالوا: «إنها تقود زوجها؛

هو يرضخ لكلّ شيء تقوله؛ طائشة هي».

صديقي العزيز،

برفق ارفع حجابي، هذه ليلة حُبْ.

استمع لي! فؤادي متلهف للقاء حبيبي.

لا أستطيع النوم حتى على سريري.

تذَكَّرني عند بزوغ الفجر!

٦

قُلتُ للكائن الشغوف فيّ:

أيّ نهر تريد أن تعبره؟

لا مسافرين على طريق النهر، ولا طريق.

هل ترى أحداً يتجول على تلك الضفة، أو يرتاح؟

لا وجود لنهر، ولا لقارب، ولا لربّان.

لا وجود لحبل، ولا من يشدّ الحبلَ.

لا أرض، لا سماء، لا وقت، لا ضفّة،

لا معبر! لا جسد، ولا عقل!

أتؤمن بوجود مكان قادر على جعل الروح

أقل عطشا؟

في ذلك الغياب العظيم لن تجد شيئاً.

كن قوياً، وادخل جسدك؛

يوجد مكان صلب لقدميك.

فكِّر فيه مليّا!

لا تته في مكان آخر!

ارم كلّ الأفكار عن الأشياء الخيالية،

وقف ثابتاً في ما أنت عليه.

٧

معرفة لا شيء
تغلق البوابات الحديدية؛
الحب الجديد
يفتحها.

صوت فتح البوابات
يوقظ الجميلة
النائمة.

رائع! لا تدع فرصة كهذه تضيع!

٨

استيقظي

يا صديقتي العزيزة!

لم تستمرين في النوم؟

الليل مضى -

أتريدين أن تخسرين النهار بالوسيلة ذاتها؟

النساء الأخريات اللائي استيقظن مبكراً

وجدن فيلاً أو جوهرةً...

لقد ضاع الكثير وأنت نائمة...

ولم يكن ذلك ضرورياً!

مَنْ أحبّكِ فهِمَ، لكن أنت لا.

نسيتِ أن تجهّزي مكاناً بجانبك على سريرك.

وأمضيت حياتك في اللهو.

في العشرين من عمرك لم تكبري

لأنك لم تعرفي من هو سيّدكِ.

استيقظي!

استيقظي!

لا أحد في سريرك ـ

لقد تركتكِ أثناء الليلة الطويلة.

المرأة الوحيدة المستيقظة

هي مَنْ سمعت الناي!

٩

جاءوا
ليحملوني بعيداً
إلى بيت زوجي الجديد،
أحسست بسعادة تسري في جسدي.
لكنهم أخذوني إلى غابة كثيفة.
لا أعرفُ أحداً هنا.

رجاءً أيّها المشّاؤون والحاملون،
لا تستمروا في المسير.
أتركوني أعود ولو للحظة إلى أهلي
وإلى أصدقائي،
كي أودعهم.

يا مريدي العزيز، انس أخذك وعطائك.

لقد انتهى الأمر بالصفقات الرابحة والخاسرة.

إلى أين أنت ماضٍ، لا أسواق هناك

ولا شيء

يشترى أو يباع.

١٠

الذي يملك موتاً وجسداً كثيفاً

يرقص أمام مَنْ لا يملك جسداً ولا موتاً.

البوق قال:

«أنا أنت».

يحضر المرشد الروحي ويركع للمريد الجديد.

حاول العيش لتر هذا!

١١

اسمع يا صديقي،
بُراقُ هذا الجسد
يُشدُّ بقوة اللجام،
منه تخرج موسيقى الكون الداخلي.
إذا ما تقطَّع اللجام وسقط الجسر،
يعود براق الغبار
إلى الغبار.

وحده الوليّ
من يقدر أن يخرج الموسيقى.

١٢

السحب تزداد كثافة؛ الرعد يرحل.
المطر يجيء من الشرق،
قرعاته تسقط على حواشي البيوت.
يمكن للمطر أن يكون مدمراً،
ماحياً علامات الحدود.
لكن التراب في حاجة إلى عناية ـ
الآن للحُبِّ النشوان براعم وتنازلات.
اتزك المطر يسقي الاثنين معاً.
المزارع الذكي من يحضر محصوله إلى هذا المخزن.
سيملأ صناديق الحبوب، ويطعم
الرجال العقلاء والصالحين.

١٣

كم صعب أن تقابل الضيف!
طائر المطر عطشان؛
يصيح ويصفّر،
«أين المطر».
لكنه يرفض أيّ ماء
غير ماء المطر....

الظباء تخرج من أجماتها الرحيمة حين تسمع الموسيقى....
تحب الموسيقى، وتعرف أنها ستموت..

تقعد الأرملة وحيدة بجانب جسد زوجها.
ستحيط بها النار سريعاً،
ليست خائفة. إلا مخاوف عن جسده الغير قابل للتخيّل.

أيتها البجعة، أودّ أن أخبرك القصة!

أول مكان ظهرت فيه، وأي رمل داكن
تمضين إليه، وأين تنامين في الليل،
وعن ماذا تبحثين...

إنها بجعة الصباح، اصعدي في الهواء، اتبعيني!
أعرف بلاداً لا سيطرة للضحالة الروحية ولا للكآبة الدائمة.
وأولئك الأحياء لا يخوفهم الموت.

هناك
الأزهار البرية تتفتّح خلل الأرضية المورقة،
عبق «أنا هو»
يطفو على الريح.
هناك
النحلة القلب تبقى عميقاً داخل الزهرة،
ولا تهتم بشيء آخر.

العروس تريد حبيبها

١

جسدي وعقلي مكتئبان لأنك لست معي.
كم أحبّك وكم أريد أن تكون في بيتي!
حين ينعتني الناس بخطيبتك
أنظرُ إلى الجانبين خجلة،
في أعماقي أعرف أننا لم نلتق أبداً.
فأيّ عشقٍ هذا؟
لا أهتم بالطعام، لا أهتم بالنوم،
قلقة أنا في الداخل والخارج.
العروس تريد حبيبها
كما يريد العطشان الماء.
كيف أجد من يأخذ رسالة مني
إلى الحبيب؟
يغمرني قلقٌ كبيرٌ طوال الوقت!
كم أرغبُ في رؤية الحبيب؟

٢

إلى من أذهب لأعرف عن حبيبي؟

«عندما تحاول
إيجاد غابة الأخشاب الصلبة،
من الحكمة أن تعلم ما الشجرة.
إذا أردتَ إيجاد السيّد،
رجاءً انس الأسماء المجردة».

٣

لعشر سنوات لعبتُ مع فتيات من عمري،
لكنّي الآن فجأة خائفة.
أنا في طريقي إلى أعلى
فوق بضع درجات ـ عالية.
عليّ التخلي عن المخاوف
إذا أردتُ أن أكون طرفاً في هذا العشق.

عليّ التخلي عن أثواب الحماية وأقابله
بقامتي كلها.
على عينيّ أن تكونا شموع الحبّ هذه المرة.

الرجال والنساء الغارقون في العشق سيفهمون
هذه القصيدة.

إذا لم يكن شعورك نحو الأحد الجليل رغبة.

إذن

ما نفع التزين بعناية، وقضاء وقت طويل

لتزيين جفونك بالسواد؟

٤

تزوجتُ سيدي، وأردت العيش معه.

لكني لم أعش معه،

التفتَ بعيداً.

ضاعت كلّ سنواتي العشرين.

ليلة عرسي كلّ أصدقائي

غنوا لي، وعليّ رشّوا

أرز المتعة وأرز الألم.

وبعد انتهاء الطقوس، غادرتُ،

لم أذهب إلى البيت معه،

كلّ أقربائي قالوا ليك:

«لا بأس».

الآن
طاقة الحبيب لي.
هذه المرة سآخذها عندما أذهب،
وخارج بيته سوف أنفخ ناي النصر!

٥

في جسدي قمر، لا أستطيع رؤيته!

قمر وشمس.

دقُّ طبل لم تمسسه أيد من قبل،

لا أستطيع سماعه!

طالما تحيّر الإنسان في ساعة موته،

وما عنده فهو له، كل أعماله صفر.

عندما ألوذ إلى أنا ـ

الكائن وما يملكه ميت،

عندها يكون عمل المعلم قد انتهى.

غاية العمل هي التعلم؛

حين تعلم، ينتهي العمل.

توجد زهرة التفاح لتنتج فاكهة؛
حين يحدث ذلك تسقط البتلات.

المسكُ داخل الظبي،
لكن الظبي لا يبحث عنه:
يبحث عن العشب.

٦

لا شيء سوى الماء في البرك المقدسة
أعلمُ، كنتُ اسبح فيها.
كلّ تماثيل الآلهة من خشب أو عاج
لا تقدر على قول كلمة.
أعلمُ، كنتُ أناديهم.
كُتُبُ الشرق المقدسة
ليست أكثر من كلمات.
نظرتُ خلل أغلفتها ذات يوم.
ما يتحدث عنه كبيرُ هو ما عايشه فقط.
إذا لم تعش أمراً،
فهو ليس أصيلاً.

٧

هل تبحث عني؟
أنا في المقعد المجاور.
كتفاي لصيقان بكتفيك.
لن تجدني في الستوباس، ولا في المعابد الهندية،
ولا في المعابد اليهودية، ولا في الكاتدرائيات:
لا في الإنشاد، لا في اليوغا،
لا في أكل النبات
فقط عندما حقاً تبحث عني،
ستراني -
ستجدني في أصغر بيوت الوقت.

أيها المريد، قل لي، ما هو الله؟
هو النَفَس داخل النَفَس.

٨

أعرف شجرة غريبة ـ

تتسلق الهواء ولا جذور لها.

لا تزهر أبداً

لكنها تحمل الفاكهة.

لا أغصان ولا أوراق لها؛

انها النيلوفر

إلى

وإلى.

يجلس طائران فوق تلك الشجرة يغنيان.

أحدهما المعلّم والآخر الطالب.

يختار الطالب كلّ مانجو الحياة ويتذوق كل واحدة.

المعلّم مسرور بما يرى.

سيخبرك كبير بشيء صعب:

«لا يمكن إيجاد الطائر، وهو مرئيّ تماماً.

الطاقة الإلهية صحيحة

في وسط الكائنات.

أنا هنا لأمدح كلّ الكائنات».

٩

على الطريق
سقطت الياقوتة الصغيرة التي يبحث عنها
كلّ إنسان.
البعض يرى أنها شرقنا،
البعض الآخر يرى أنها غربنا.

البعض يقول،
«في صخور الأرض البدائية»،
البعض الآخر،
«في المياه العميقة».

حدسُ كبيرُ أخبَره أنها في الداخل،
ولقيمتها، غلفها بعناية في قماشة قلبه.

١٠

ظلمة الليل تأتي سريعاً،

وظلال الحب تقترب من الجسد والعقل.

افتح النافذة نحو الغرب،

واختف في الهواء داخلك.

قريباً من عظام صدرك زهرةٌ متفتحة.

اشرب العسل حول تلك الزهرة.

الأمواج آتية:

عظمة كبيرة

قرب البحر!

أنصت:

صوت أصداف البحر الكبيرة!

صوت الأجراس!

صديقي،

أنصت،

هذا ما عليّ قوله

الحبيب الذي أحبه في داخلي!

١١

حان الوقت لتضع أرجوحة الحب!
اربط الجسد ثم اربط العقل
ليتأرجحا بين ذراعي الأحد الخفيّ الذي تحب.
احضر الماء المتساقط من السحب إلى عينيك،
وغطّ نفسك داخلك بالكامل
بظل الليل.
قرّب وجهك من أذنه، وتكلّم
فقط عن ما ترغب بشدة
أن يتحقق.

استمع لي، يا أخي،
احضر الشكل،
وجهة ورائحة الأحد الجليل
بداخلك.

١٢

لماذا اضربُ بالكلمات،

عندما جعل الحبّ فضائي الداخليّ مليئاً بالنور؟

أعلم أن الماسة ملفوفة في هذه القماشة،

لماذا عليّ فتحها ورؤيتها طوال الوقت؟

عندما فرغت المقلاة، طارت؛

هي ملآنة الآن، لماذا تهتم بوزنها؟

البجعة طارت إلى بحيرة الجبل!

لمَ الانشغال بالخنادق والحفر مرة أخرى؟

الأحد الجليل يحيا داخلك -

لمَ عليك فتح عينك الثانية؟

أنصت، أخي!

الضيف،

الذي جعل عينيّ ناصعتين جداً،

مارَسَ الحب معي.

١٣

صديقي،

إذا لم تقابل الواحد الخفي حقيقة،

ما مصدر ثقتك بنفسك؟

أوقف هذه المغازلة بالكلمات.

لا يحدث الحب بالكلمات.

لا تكذب على نفسك حول الكتب السماوية

وما تقوله.

الحب الذي أتكلم عنه لا يوجد في الكتب.

من أراده حصل عليه.

يَسمعُ الخلاليل الرقيقة

١

اللاعب الرياضي الروحيّ
يغيّر لون ملابسه، ويبقى عقله
رمادي وخال من الحب.

يجلس طوال اليوم في غرفة المقام،
لهذا على الضيف أن يخرج
ويمدح الصخور.

أو يحفر فتحات في أذنيه،
شعرُه ينمو عظيما ومجدولاً،
يعتقد الناس أنه جَدْيٌ....
يذهبُ إلى الأماكن البرية،
يكتمُ شهواته،
ويجعل نفسه لا ذكراً ولا أنثى....
يحلقُ رأسه، يرتدي عباءة برتقالية،

يقرأ باغافات ـ غيتا،
ويصير متحدثاً بارعاً.

في الواقع
أنت ذاهبٌ في عربة
إلى
بلاد الموت،
مقيّد اليد
والقدم!

٢

صديقي،

رجاءً قل لي

ماذا يمكنني عمله حول هذا العالم

الذي أتمسك به، واستمرُّ بمطّه!

تخليتُ

عن الألبسة المخيطة، وارتديت عباءة،

لكني لاحظتُ ذات يوم

أن القماش كان حسن النسج.

لذا

اشتريت بعض الخيش،

لكني لا أزال أضعه بفخامة فوق كتفي.

سحبتُ
شهواتي الجنسية، وأكتشف الآن
أنني غضبان جداً.

تركتُ الغضب،
وأرى الآن أني طماع طول اليوم.

عملتُ كثيراً لأذيب الطمع،
وأنا الآن فخور بنفسي.

عندما يريد العقل قطع رباطه بالعالم
يستمر بالتعلّق بشيء ما.
أنصت
يا صديقي،
قليلٌ مَنْ يجد الطريق!

٣

لا أعلمُ،

عن أي إله كنّا نتحدث.

الداعي

في صوت عال

يدعو الأحد الجليل عند الغسق.

لماذا؟

أكيد أن الأحد الجليل ليس أصم!ا.

هو يسمع الخلاخيل الرقيقة

التي ترن حول أقدام حشرة تمشي.

سبّح، وسبّح،

ارسم أشكالا غريبة على جبهتك،

أضفر شعرك، طويلاً، وبفخر،
لكن حين تكون عميقاً في داخلك بندقية محشوة،
كيف تستطيع أن يكون لك إله؟

٤

استنشق تلك الكلمة
منها جاء درب التبانة!
تلك الكلمة معلّمك؛
سمعت ذلك الصوت، وأنا تابعه.
كم من الأحياء أخذ معناها؟

اسمع،
أيها الطالب، تمسّك بتلك الكلمة!
اعملها!
كلّ النصوص القديمة والأشعار المقدسة
تصرخ بها.
في تلك الكلمة جذور العالم عميقة.
العباد والمخلصون يثرثرون بها،
لكن لا أحد فهم كم غامضة الكلمة!
الأب ينهض من على العشاء ويمشي خارجاً

عندما يسمعها.
يعود الناسك إلى الحب
عندما يسمعها.
الأنظمة الستة العظيمة تستمر بعرضها.
حيوان التنازل
يقود إلى تلك الكلمة.
العالم بكلّ فيلته وكائناته الدقيقة
قفزت من تلك الكلمة.
داخل الكلمة كلّ شيء مليء بالنور حقاً.
لكن
من يعلم مِن أين
جاءت الكلمة الأولى؟

٥

كنت أفكر في الفرق بين
الماء والموج على سطحه.
صاعداً، الماء لا يزال ماء،
نازلاً، ماء،
هل تعطيني تلميحاً
كيف تفرق بينهم؟

لأن أحدهم صنع كلمة
«الموجة»،
هل عليّ أن أميّزها
من الماء؟

الخفيّ داخلك؛

الكواكب في المجرات

تمر بين يديه كحبات المسبحة.

هذه مسبحة

على المرء أن ينظر إليها

بعينين مضيئتين.

٦

علم يرفرف في معبد السماء
لا أحد يراه.
قماش أزرق شُدّ عالياً، يزينه القمر
وعديد الجواهر.

يمكن رؤية الشمس والقمر
في ذلك المكان؛
حين تنظر إليه،
اجعل عقلك
صامتا.

سأخبرك الحقيقة:
الذي شرب من ذلك الشراب
يجول هنا وهناك كالمجنون.

٧

داخل جرّة الطين وديان وجبال صنوبر،
وخالق الوديان وجبال الصنوبر!
فيها البحار السبعة، ومئات ملايين النجوم.
الحمض الذي يغيّر الذهب موجود هناك،
والذي يغيّر الجواهر.
والموسيقى من الأوتار التي لم يلمسها أحد،
ومنبع المياه.

إذا أردت الحقيقة، سأخبرك الحقيقة:
صديقي،
أنصت:
الإله الذي أحبّ في الداخل.

٨

المرأة التي انفصلت عن حبيبها
تغزل في مغزلها.

بغداد الجسد ترتفع بأبراجها وبواباتها.
داخلها قصر الذكاء تم بناؤه.

عجلة نشوة العشق تدور في السماء،
ومقعد الغزل مصنوع من ياقوت
العمل والدرس.

المرأة تنسج خيوطاً رقيقة،
وقوة مديحها يجعلها جيدة!

أنا تلك المرأة.

أنا أنسج بطانة الليل والنهار.

عندما يجيء حبيبي وأحسّ بقدميه،

دموعي هديتي إليه.

٩

الجليل تنكّر في شكل رجل عجوز
في فندق رخيص يخرج ليسأل عن أجرة العربة.
يبدو أني لم أقدر على قنص نظرة منه.
إذا فعلتُ،
ما عليّ أن أسأله؟
لقد عرف ما الذي أفتقده
في حياتي.

أنا أنتمي إلى هذا العجوز.

دع ما سيأتي،
يأتي!

١٠

طائر

يجلس على هذه الشجرة.

متعة الحياة هي أين يرقص.

لا أحد يعلم أين الطائر،

ولا ما تعنيه هذه الموسيقى.

يبني عشّه في الأغصان الأكثر ظلمة.

يظهر عند الغسق ويختفي عند الفجر،

ولا يعطي أي تلميح عن هذا.

لا أحد يكلّمني عن هذا الطائر الصدّاح.

لا لون له، ولا هو خال من الألوان.

لا شكل له، لا حدود.

يجلس في ظل العشق.

يعيش في ما لا يمكن الوصول إليه،
حيث لا نهاية للوقت،
حيث الأشياء الميّتة غير موجودة.
ولا أحد يهتم بمجيئه
أو ذهابه.

أخي،
أيها الباحث، كلّ هذا لغز عظيم.
قلْ لجميع العقلاء
مِن المهم معرفة
أين يقضي هذا الطائر
ليله.

١٢

ما الذي يخرج من العود؟
موسيقى!
ورقصة
هي رقصة بلا أيدٍ وبلا أقدام.
لا أصابع تضربها،
لا أذان تسمعها،
لأن المقدس هو الأذن، والسامع أيضاً.

الأبواب العظيمة تبقى مغلقة.
عبق الربيع يدخل على كل حال،
ولا أحد يرى ما يحدث هناك.

الرجال والنساء الذين دخلوا عبر هذين البابين
سيفهمون هذه القصيدة.

١٣

هل سمعت الموسيقى التي لا أصابع تدخلها؟
عميقا في داخل البيت موسيقى متشابكة ـ
ما معنى أن تغادر بيتك؟

فرضاً أن تفرك جلدك الأخلاقي
إلى أن يلمع،
وفي الداخل لا توجد موسيقى،
ثم ماذا؟
المسلم يتأمل في الكلمات،
ثم يشير
إلى هذا
وذاك،
ثم ماذا
إذا لم يكن صدره مشبع بالعشق؟
يجيء البوذي

بلباسه البرتقالي الطويل الشهير.
ثم ماذا
إذا كان في الداخل عديم اللون؟

كل لحظة
ترتفع الشمس فيها،
إذا وقفت في معبد،
أو على شرفة،
في الحقول الساخنة،
أو في الحدائق المسوّرة،
مولايَ يمارس الحب معي.

١٤

أخيرا لحن نايه يجيء،
ولا أقدر على التوقف عن الرقص على
الأرض....

الأزهار تتفتح،
رغم أن هذا ليس مايو،
والنحلة على علم بذلك.

ملبّد الهواء فوق البحر،
برق،
بحار كثيفة
تنهض في صدري.

في الخارج يهطل المطر؛
وفي الداخل أتوق إلى الضيف.

شيء مني قد وصل إلى المكان
حيث يتنفّس العالم.

العلَمُ الذي لا نراه
يرفرف هناك.

جسدي ـ الرغبات
يموت، ويحيا!

١٥

لا تخرج من بيتك لتر الأزهار.

صديقي،

لا تنشغل بتلك النزهة.

في داخل جسدك أزهار.

زهرة واحدة

فيها ألف بتلة.

هذا كاف لمكان للجلوس.

الجلوس هناك سوف يحصل على

لمحة من الجمال داخل الجسد

وخارجه،

قبل الجنائن وبعد الجنائن.

١٦

الضيف فيك، وفيّ؛

أنت تعرف

أن البرعم مخفي في البذرة.

كلّنا نعاني؛

لا أحد منا ذهب بعيداً.

دع جهلك يمضي،

وابحث داخلك.

ستفتح السماء الزرقاء

أكثر

وأكثر،

الإحساس اليومي بالفشل يتلاشى،

الخراب الذي فعلته بنفسي يتلاشى،

مليون شمس تتقدم مضيئة،
عندما أجلس ثابتاً في ذلك العالم.

أسمع أجراساً تقرع
لم يهزّها أحد،
داخل «العشق» متعة أكثر مما نعرف،
يهطل المطر،
رغم صفاء السماء توجد أنهار كاملة
من نور.
العالم أصيب بطلقات
في كل أجزاءه
بعشق واحد.
ما أصعب أن نحسّ بتلك المتعة
في أجسادنا الأربعة!

الذين يأملون ليكونوا منطقيين على وشك الفشل.
جهل المنطق فصلنا من ذلك العشق.
بكلمة «المنطق»
تشعر أنك على بعد أميال.

كم محظوظ كبير،
محاط بكل هذه المتعة
يغني داخل قاربه الصغير.
أشعاره تعادل روحاً تلتقي أخرى.
هذه الأغاني عن نسيان الموت والخسران.
ترتفع فوق الدخول
والخروج.

الفهرس

مقدمة ٥
يا عبدُ ٩
الرجل الصالح ١١
وأنت حيّ ١٢
حديقة الأزهار ١٤
قل لي ١٥
المسك في الظبي ١٧
ظهور ١٩
الوعاء ٢٣
آه ٢٤
يا مسكين ٢٦
لأصعد درجة ٢٨
يا بجعة ٣٠
الخادم ٣٢
النهر وأمواجه ٣٤
أرجوحة ٣٥
أغنية العشق ٣٦
هل تدري ٣٧

وسط السماء ٤٨
يا قلبي ٥٠
لا مسافر قبلك ٥١
يا أعمى ٥٣
الحجاب ٥٥
المساء ٥٦
أكثر من أي شيء ٥٧
مولاي يخفي نفسه ٥٩
الصوت الأعظم ٦٠
طائر ٦١
في النهار والليل ٦٣
ارقص يا قلبي ٦٤
أسكرَ العشقُ قلبي ٦٥
بينك وبيني ٦٧
تعالى إلى بيتي ٦٨
استيقظ ولا تنم ٧٠
إذا كان الليل ٧٢
السمك في الماء عطشان ٧٥
ناي الوقت الخفي ٩٥
العروس تريد حبيبها ١١٧
يَسمعُ الخلاليل الرقيقة ١٣٩